معصية ارتكبها أبو هريرة هنا حتى يشنع عليه أبو رية فيها؟ لعل كل جريمة أبي هريرة فيها أنه كان خفيف الروح حلو الدعابة مما لم ينسجم فيه مع أبي رية روحاً ودعابة! ولله في خلقه شؤون!.

هذا وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده أن أبا ذر رضي الله عنه قد وقعت له مثل هذه الحادثة تماماً، وأخشى أن يتحول أبو رية بعد اطلاعه على هذا فيشتم أبا ذر ـ كما شتم أبا هريرة!..

١٠ ـ ثم نقل أبو رية عن «خاص الخاص» للثعالبي قول أبي هريرة: ما شممت رائحة أطيب من رائحة الخبز وما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر[١].

لنفرض أن الثعالبي حجة فيما يروي، ولنفرض أنه روى هذا الخبر بسند صحيح، متصل إلى أبي هريرة، فأي شيء يجرح أبا هريرة في هذا؟ وأي شيء يغض من قدره عند العقلاء والفضلاء؟ إنه دعابة من دعاباته، ومرح لطيف من مرحه الذي اعتاده، ولعمري لو سمعت إنساناً ـ مهما بلغ في علو الشأن ـ يقول هذا لاستحسنته وطربت له، فيا شيخ أبو رية إذا كان الله قد أنعم على إنسان بخفة الدم، وحلاوة العبارة، وجمال النكتة، لماذا لا يتضايق منه إلا الثقلاء؟!.

١١ ـ ثم نقل عن العسجدي كلاماً في حق أبي هريرة بمناسبة الحديث المنسوب إليه «زر غباً تزدد حباً» ما تجد الرد عليه فيما تكلمنا عنه حول هذا الحديث ومن العسجدي وأمثاله حتى يحتج بهم على أبي هريرة وتقبل شهادتهم فيه؟!.

سابعاً: مزاحه وهذره:

زعم أبو رية أن المؤرخين أجمعوا على أن أبا هريرة كان رجلاً مزاحاً مهذاراً، ثم شرح معنى الهذر بأنه الكلام الكثير الرديء الساقط.

---

(١) ص١٥٨.

أما دعواه الإجماع بأنه كان مهذاراً، فهذا افتراء على الله وعلى أبي هريرة وعلى المؤرخين والتاريخ.

إن أحداً قط لم يصف أبا هريرة بأنه مهذار، ونحن نتحداه بأن يأتينا برواية صحيحة في هذا الشأن.

وما زعمه من أن عائشة وصفت أبا هريرة بذلك في قضية «المهراس» فقد قدمنا الكلام عليه في مناقشتنا لأحمد أمين[1] ومنه يتبين أن عائشة لم ترد على أبي هريرة في قضية المهراس فضلاً عن أن تصفه بالمهذار، وإنما الذي ردَّ عليه هو قين الأشجعي من أصحاب عبد الله بن مسعود، ومع ذلك فلم يرد على لسانه بأنه مهذار!.

وعلى فرض صحة هذا النقل عن عائشة ـ وهذا ما نتحدى أبا رية بإثباته ـ فإنه شاهد واحد فكيف ادَّعى أن المؤرخين جميعاً أجمعوا على وصفه بالهذر، هل عائشة من المؤرخين؟ وهل هي جميع المؤرخين؟ قل أيا أبا رية وأنت الذي قلت في كتابك: لعنة الله على الكاذبين متعمدين أو غير متعمدين؟.

هذا وما نزال نتحداك بأن تأتينا بصحابي أو تابعي أو مؤرخ موثوق وصف أبا هريرة بالهذر، وإلا فأنت من الكاذبين الذين يستهينون بعقول الناس!.

وأما مزاحه فهذا مما عرف به، وهو خلق أكرمه الله به وحببه به إلى الناس جميعاً.

وما كان المزاح في دين الله مكروهاً، وإلا كانت الثقالة وغلاظة الحس والروح أمراً محبوباً في الإسلام، وحاشا لله ولرسوله أن يستحبا ذلك وقد قال الله لرسوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) انظر ص٣٤٢ من هذا الكتاب.

وما كان المزاح خلقاً معيباً عند كرام الناس، وقد كان رسول الله يمازح أصحابه، وكان الصحابة يمزحون، وكان فيهم مشهورون بالمزاح البريء في حدود الشريعة والأخلاق، ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه.

كان في إمارته على المدينة خلفاً لمروان يركب الحمار ويقول: خلوا الطريق للأمير!.. فياما أحلاه من دعابة ومزاح!...

وكان يحمل حزمة الحطب على كتفه ويدخل السوق ويقول: خلو الطريق للأمير!.. فيالروعة العظمة في تواضعها!.. ويالغشاوة أبصار الحاقدين الذين لم يروها!..

وكان يدعى إلى الطعام فيقول: إني صائم، فإذا بدؤوا الأكل أكل معهم وهو يقول: أنا صائم في تضعيف الله، مفطر في تخفيف الله... ياما أحيلى هذا المزاح؛ وهذه الدعابة، وهذه الشخصية السمحة الكريمة!..

ويدعو بعض الناس إلى عشائه بالليل وهو أمير، ويقول له: دع العُراق للأمير (يوهمه أن يقدم له لحماً) فينظر الضيف، فإذا هو ثريد بالزيت!..

ويجيئه شاب فيقول له: إني أصبحت صائماً فدخلت على أبي فجائني بخبز ولحم فأكلت ناسياً، فيجيبه أبو هريرة: أطعمكها الله لا عليك، فيقول الشاب متابعاً: ثم دخلت داراً لأهلي فجيء بلبن لقحةٍ فشربته ناسياً، فيقول له أبو هريرة: لا عليك، فيتابع الشاب: ثم نمت فاستيقظت فشربت ماءً وجامعت ناسياً.. فيقول له الشيخ المطبوع على المزاح المحبوب: إنك يا ابن أخي لم تعتد الصيام!..

أي إنسان في الدنيا يرى في هذا المزاح مهانة إلا أن يكون من الأفظاظ الثقلاء؟!..

هذا هو مزاح أبي هريرة الذي أجمع عليه المؤرخون، كما قال أبو رية، ولكنه فاته شيء واحد خالفهم فيه جميعاً، وهو مع أنهم أجمعوا على مزاحه، أجمعوا أيضاً على أنه مع مزاحه هذا كان ـ كما قال ابن كثير، وهو

الذي روى نكاته ومزاحه ـ «من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم»[1] فلماذا خالف أبو رية إجماعهم هذا بعد أن حكى إجماعهم على ذلك؟! أيريد أن يدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء]؟!.

وبعد فلقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» عن بكر بن عبد الله المزني قال: كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون بالبطيخ (يترامون به)، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال[2].

ولعمري لقد كان أبو هريرة كذلك، ولو أن أبا رية رأى في بعض الروايات أن أبا هريرة تبادح بالبطيخ مع بعض الرجال والشباب. ماذا كان يقول أبو رية (الوقور) عن هذا المزَّاح (المهذار)؟.

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» أيضاً عن عبد الرحمن بن عوف قال: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متماوتين، وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر الله، دارت حماليق عينيه كأنه مجنون[3].

وأخرج البخاري أيضاً في «الأدب المفرد» عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي: قال: حدثني أبي أنهم كانوا غزاة في البحر زمن معاوية، فانضم مركبنا إلى مركب أبي أيوب الأنصاري، فلما حضر غداؤنا أرسلنا إليه فأتانا، فقال: دعوتموني وأنا صائم فلم يكن لي بد من أن أجيبكم لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن للمسلم على أخيه ست خصال واجبة، إن ترك منها شيئاً فقد ترك حقاً واجباً لأخيه عليه: يسلم

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ١١٠.

(٢) ص٧٧.

(٣) ص١٤٦.

عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض. ويحضره إذا مات، وينصحه إذا استنصحه». قال: وكان معنا رجل مَزَّاحٌ يقول لرجل أصاب طعامنا: جزاك الله خيراً وبراً، فغضب عليه حين أكثر عليه، فقال لأبي أيوب ما ترى في رجل إذا قلت له: جزاك الله خيراً وبراً غضب وشتمني، فقال أبو أيوب: إنا كنا نقول: إن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، فاقلب عليه، فقال له حين أتاه: جزاك الله شراً وعرّاً، فضحك ورضي وقال: ما تدع مزاحك؟ فقال الرجل: جزى الله أبا أيوب الأنصاري خيراً[1].

هكذا كان صحابة رسول الله ﷺ، فمن أنكر على أبي هريرة مزاحه فقد أنكر أمراً من الدين مباحاً، وخلقاً لدى الكرام محبوباً.

ثامناً: التهكم به:

قال أبو رية[2]: «ولقد كانوا يتهكمون برواياته ويتندرون عليها لما تفنن فيها وأكثر منها، فعن أبي رافع: أن رجلاً من قريش أتى أبا هريرة في حلة وهو يتبختر فيها، فقال: يا أبا هريرة! إنك تكثر الحديث عن رسول الله ﷺ فهل سمعته يقول في حلتي هذه شيئاً؟ فقال: سمعت أبا القاسم يقول: إن رجلاً ممن كان قبلكم بينما هو يتبختر في حلة إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة، فوالله ما أدري لعله كان من قومك أو من رهطك، (وأسند أبو رية هذا الخبر إلى ابن كثير) ثم قال: (ويبدو) من سؤال هذا الرجل أنه لم يكن مستفهماً، وإنما كان متهكماً، إذ لم يقل له: إنك تحفظ أحاديث رسول الله، وإنما قال: تكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، (وسياق) الحكاية يدل كذلك على أنه كان يهزأ به ويسخر منه».

ها هنا أمور:

---

(١) ص٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) ص١٦١.